تمثّل الذات والآخر في تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي من منظور ما بعد الاستعمار

إعداد

د. حسين وليد حسين أبو الفرج

أستاذ مساعد، الأدب المقارن

قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،

جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

تمثّل الذات والآخر في تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي من منظور ما بعد الاستعمار

حسين وليد حسين أبو الفرج

البريد الإلكتروني:habulfaraj@kau.edu.sa

أستاذ مساعد، الأدب المقارن ـ قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

الملخص:

يتغيا هذا البحث دراسةَ تمثل الذات والآخر في كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة رافع الطهطاوي من منظور ما بعد الاستعمار، بوصف هذا النص يمثل أحد النصوص العربية الحديثة التي رصدت الصدمة الحضارية بين الشرق المسلم والغرب الأوروبي. ويسعى البحث إلى الإجابة عن سؤال رئيس، وهو: كيف صاغ الطهطاوي صورة الذات العربية في مقابل الآخر الأوروبي، وكيف تَمثّل صورة الآخر في ظل ازدواجية الإعجاب والمقاومة؟

وقد انطلق البحث من فرضية مؤداها أن الطهطاوي، مع إعجابه الظاهري بالحداثة الفرنسية، إلا أنه كان ينطلق من أصول ثقافية وحضارية مكنته من تفكيك خطاب الآخر فى كثير من مواطن كتابه إذ كان يحرص على تقديم خطاب مزدوج يجمع بين الإعجاب بالإنجاز الأوروبي والرغبة في الحفاظ على الخصوصية الحضارية للذات العربية الإسلامية.

اعتمد البحث على منهجية تحليلية وصفية من خلال مجموعة من المرتكزات، نحو: التمثيل، وثنائية المركز والهامش، في ضوء علاقة الهيمنة الثقافية بين الشرق والغرب. وتناول البحث المحاور التالية: تحليل خطاب رفاعة الطهطاوي وطبيعة التناول لصورة الآخر الفرنسي، ، ثم كانت المقارنة

بين نصه ونص أحد الرحالة الفرنسيين، ليتبين الباحث طبيعة الذات والآخر التى هى من أهم مرتكزات ما بعد الاستعمار.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الطهطاوي لم يكن ناقلًا للحداثة الغربية فحسب، بل مارس نوعًا من المقاومة الثقافية الناعمة إذ سعى- فى خطابه- إلى تأصيل أنموذج إصلاحي عربي حديث لا ينفصل عن جذوره الحضارية.

إذ أوضح البحث كيف حافظ الطهطاوي في نصّه على مركزية الذات العربية، بوعيه بالهوية الإسلامية والانتماء الوطني، في مقابل مركزية الآخر الأوروبي الذي مثّله خطاب الرحالة (فولني)

الكلمات المفتاحية: الطهطاوي، التمثيل، الاستعمار، المركز، الهامش، الهيمنة الثقافية، الاستشراق، الحداثة، الهوية، الإصلاح.

The representation of the self and the other in "The Purification of the Gold" in the summary of Paris by Rifa'a al-Tahtawi from a post-colonial perspective

Hussein Walid Hussein Abu Al-Faraj
Email: habulfaraj@kau.edu.sa
Assistant Professor, Comparative Literature – Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

Abstract:

This study aims to examine the representation of Self and Other in Takhlīṣ al-Ibrīz fī Talkhīṣ Bārīz by Rifāʿa Rāfiʿ al-Ṭahṭāwī through the lens of Postcolonial Theory, considering this text as one of the earliest modern Arabic works to capture the civilizational shock resulting from the encounter between the Muslim East and the European West. The research seeks to answer a central question: How did al-Ṭahṭāwī construct the image of the Arab self in contrast to the European other? And how did he represent the Other within the tension between admiration and resistance. The study proceeds from the hypothesis that, despite his apparent admiration for French modernity, al-Ṭahṭāwī's discourse was rooted in a deep cultural and civilizational consciousness that enabled him to deconstruct the discourse of the Other throughout his work. He carefully crafted A dual discourse that combined appreciation for European achievements with a firm commitment to the preservation of Arab-Islamic cultural identity. The research adopts a descriptive-analytical methodology, drawing on key concepts from postcolonial studies such as representation, and the center-periphery dichotomy, within the broader context of cultural hegemony between East and West. The study focuses on analyzing al-Ṭahṭāwī's depiction of the French Other, followed by a comparative reading between his text and that of the French traveler (Volney), to highlight the dynamics of Self and Other as a core concern of postcolonial critique. The study concludes that al-

Ṭahṭāwī was not merely a transmitter of Western modernity but engaged in a form of soft cultural resistance, seeking through his discourse to establish a modern Arab reformist model rooted in it's authentic civilizational heritage. The research further demonstrates how al-Ṭahṭāwī maintained the centrality of the Arab self through his adherence to Islamic identity and national belonging, in contrast to the European Other as represented in Volney's orientalist nnarrative

Keywords : Al-Tahtawi, Representation, Colonialism, Center, Periphery, Cultural Hegemony, Orientalism, Modernity, Identity, Reform.

تقديم:

تمثل نظرية ما بعد الاستعمار، ركيزة أساسية لاستكشاف الثنائيات الرئيسة بين الشرق والغرب، من خلال محاولة التفكيك والتقويض للمركزية الغربية المتخيلة بعد أن انحرفت عن السياق المعرفى والموضوعي واتجهت إلى سياقات أخرى . الأمر الذى أدى إلى المواجهة الجبرية لهذه المركزيات والمقاومة الثقافية.

وخطاب ما بعد الاستعمار يتغيا المثول أمام هذه التحولات ومحاولة التفتيش عن نقاط الضعف داخل هذه المركزيات والسعى إلى تقويضها ونقضها؛ وعليه فإن هذه النظرية تسعى إلى الفهم العميق لطبيعة الشرق والغرب معًا ورصد قنوات التواصل بينهما؛ بغية لفهم هذه العلاقات سواء أكانت إيجابية تقوم على التسامح والتصالح والتعايش، أم سلبية ترصد الاحتلال والقمع وما إلى ذلك.

أيضًا تأسست هذه النظرية على زعزعة نظرة الغرب إلى الشرق الذى يراه فى منأى عن التحضر والمدنية والحداثة إذ وصفه بالشعوذة والبدائية والشهوانية، ومن ثم فهذه النظرية تحاول التنقيب عن هذه النظرات المناقضة، الأمر الذى حدا بمفكرى هذه النظرية إلى تعرية الخطاب الغربي الاستعلائي المتغطرس وفضحه وتفكيكه ومحاولة تقويض مركزيته المزعومة.

ولما كان أصحاب هذه النظرية[1] يسعون إلى تفكيك الخطاب الاستعماري وفضح مرتكزاته، وتقويض خطابه الاستعلائي وفلسفته ، كانت الهوية الوطنية بيئة خصبة من خلال الحفاظ عليها مقابل المحاولات الغربية .

---

[1] – **من أهم أصحابها إداورد سعيد من خلال مناقشته المهمة لقضية الاستشراق فى كتابه الاستشراق، وفرانز فانون، وهومى بهابها، وسبيفاك، وبيل أشكروفت، وغيرهم...**

إذ تتأسس فلسفة هذه النظرية على ثنائية رئيسة وهى الأنا والآخر من خلال محاولة التفكيك لطبيعتهما؛ بغية فى السعى إلى الوقوف على طبيعة العلاقة بينهما أهى إيجابية تجعل من التسامح والتعايش تكأة لها، أم هى سلبية تقوم على الصراع والجدلية الاستعمارية القمعية.

وقد تعاظم هذا بعد أن عانى العالم –منذ القرن التاسع عشر– من ويلات الاستعمار الأوروبي، التى أحدثت نتائج عظيمة على المستويات السياسية والاجتماعية كافة، ومن ثم الفكرية والثقافية؛ إذ حاول الاستعمار تشكيل خطاب يسعى إلى التقليل من شأن صورة الآخر؛ الأمر الذى ساعد على ظهور اتجاه معاكس يعمل على تفكيك الخطابات الاستعمارية وإعادة الاعتبار إلى الاتجاه المهمش وهو ما يؤصل لفلسفة ما بعد الاستعمار.

ولما كان ذلك كذلك فإن إعادة قراءة الخطاب التاريخى واستكناه مقاصده لا سيما عند الطهطاوى من خلال هذه النظرة الحداثية؛ يؤدى إلى كشف النقاب عن كثير من القضايا الضمنية التى وردت فى مؤلفه المهم" تخليص الإبريز فى تلخيص باريز"

موضوع البحث ومبرراته:

يسعى البحث إلى تبيان نظرية مهمة كان لها نصيب كبير من الدرس النقدي؛ فقد أولاها النقاد اهتمامًا كبيرًا لما لها من مقدرة كبيرة على التوضيح والتفسير لكثير من الخطابات المتعددة وتفكيك بنيتها وإعادة بنائها من جديد . ويهدف إلى فهم كيفية تأثير هذه النظرية فى سياق النقد العربي الحداثى، وتأثيرها فى موقع نصوص الخطابات الاستعمارية .

وجاءت الدراسة فى مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الأول فلسفة النظرية وأهم مرتكزاتها عند مؤسسيها، ثم كان المبحث الثانى وفيه تم الوقوف على طبيعة الخطاب عند الطهطاوي وأهم المرتكزات ما بعد الاستعمارية التى تضمنها خطابه، ثم كانت المقارنة بين خطابه وخطاب أهم

الرحالة الفرنسيين؛ للوقوف على طبيعة العلاقة بين الذات والآخر[٢] فى تشكيل الخطاب.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة بين رسائل علمية وأبحاث وكتب علمية متخصصة، ومنها:

- النظرية ما بعد الكولونيالية: قلق الموقع وتشعب الجذور: عدنان لكناوى، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية،جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر، المجلد ٢٢، ٢٠٢٢.
- نقد ما بعد الاستعمار وإدوارد سعيد: آلاء ياسين دياب، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ٤٦، ٢٠٢٤.
- مقاربة المادية فى دراسات ما بعد الاستعمار: مى باسل النقيب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ٢٦، ٢٠٠٨.
- النواحى المادية والفنية لمخطوطات مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج: خلف إبراهيم، مجلة كلية الآداب، ٥٦ ،٢٠٢٠
- سمات المجددين بين الطهطاوى والمودودى: منال رفاعى محمد، مجلة البحث العلمى فى الآداب١٠، ٢٠١٩.

---

[٢] – **لمصطلح الذات والآخر حضور كبير فى كل من السياق الفلسفى والسيكولوجى وهو ما يرتبط بالعلاقة بين الإنسان والعالم من جهة، وبين الفرد والمجتمع من جهة ثانية، فالذات مجموعة من التصورات المكونة من خلال الفرد مع تفاعله مع محيطه، فهى منظومة شعورية تشمل الشعور بالهوية، والذات. بيد أن الآخر فهو كل ما يقع خارج حدود الأنا. فالذات هى البناء النفسي الذى ينطوى على إدراك الفرد لصفاته، يراجع: المعجم الفلسفى، جميل صليبا، ج١، ص٤٧٦**

، والآخر هو كل شخص خارج الذات الفردية، يراجع: علم النفس الاجتماعى، عبدالرحمن العيسوى،ص١١٩

- منهج رفاعة الطهطاوى النحوى: محمد كشاش، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ١٨، ٢٠٠٠.
- استراتيجيات الخطاب الحجاجى عند رفاعة الطهطاوى، إيمان جاب الله نصر، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم ٢٠٢٣.
- الاجتهاد والتقليد بين رفاعة الطهطاوى وعبد القادر الجزائرى، نهلة محمد، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠١٤.

إشكال البحث:

يحاول البحث الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها: هل يمكن أن تستجيب النصوص القديمة التى أنتجت فى مرحلة سابقة للنظريات النقدية الحداثية؟ خاصة أن الدراسة ستقف على خطاب حاول أن يسقرئ طبيعة الآخر.

كيف تجلى وعي رفاعة الطهطاوي بالذات العربية الإسلامية والآخر الأوروبي في ضوء مفاهيم ما بعد الاستعمار؟ وهل شكّلت كتاباته مقاومة معرفية للتمركز الأوروبي أم وقعت في شَرك التمثيل الأوروبي والإعجاب فقط؟

هدف البحث:

يسعى البحث إلى :

١-معرفة كيف استطاع الطهطاوي أن يُعيد إنتاج "الآخر" معرفياً؟

٢- تحليل صورة الآخر الأوروبي في نص الطهطاوي من منظور ما بعد الاستعمار.

٣- إبراز مظاهر التهجين الثقافي ومقاومة التمثيل الاستعماري.

٤-الربط بين تجربة الطهطاوي ومفاهيم استعمارية معاصرة.

وتنبع أهمية البحث: بوصفه بحثًا يحاول الوقوف على نظرية حداثية مهمة يمكنها سبر أغوار كثير من الخطابات المهمة لا سيما تلك الخطابات التى تتعلق بفهم الآخر .

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفى والمنهج المقارن .

المبحث الأول: إشكال المصطلح.

يمثل منهج ما بعد الاستعمار (Postcolonialism) اتجاهًا نقديًا وفكريًا مهمًا يمكنه سبر أغوار آثار الاستعمار الأوروبي على الشعوب والثقافات التي واجهت الاستعمار، إذ يقف على قضايا التمثيل، والهوية، والهيمنة الثقافية، والصراع بين المركز والهامش. خاصة بعد أن دعت الحاجة إلى تفكيك الأنساق الفكرية التي كرّست تبعية المستعمَرين للمستعمِرين، بما في ذلك اللغة، والتعليم، والتاريخ، والهوية، والتمثيل الثقافي.[٣]

فمنهج ما بعد الاستعمار يحاول قراءة كثير من الخطابات بزاوية منفتحة تحاول ربط الخطاب بما يدور حوله من سياقات؛ فلم تعد النظرة منغلقة على تفكيك بنية النص من الداخل والوقوف على أنساقه غير الخارجة عنه كما كان فى النظرة البنيوية للنص إذ عاصرت نظرية ما بعد الاستعمار مرحلة ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية[٤]؛ الأمر الذى يفتح للنص كثيرًا من الرؤى والمقصديات عبر تفكيكه وإعادة بنائه من جديد.

ويستعمل مصطلح ما بعد الاستعمار للدلالة على مجموعة واسعة ومتنوعة من الدراسات الأكاديمية، التى تهتم فى المقام الأول بدراسة التأثير الثقافى والاجتماعى للاستعمار الأوروبى، ودراسة الطرق التى تستخدم

---

[٣] –ينظر: عز الدين الخطابي، في النظرية ما بعد الكولونيالية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦، ص ١٢٦.

[٤] – سعد البازعى: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافى العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م، ص١٥٨

لمقاومة هذا الاستعمار[٥] وعليه فهذه النظرية تمثل أداة مقاومة ثقافية مهمة لمحو آثار الاستعمار وتبعاته من خلال الهدم والنقض لهذه السياقات المزعومة التى خلفتها آثار الاستعمار بوصفه أداة تعمل على ترسيخ دعائم كاذبة وواهية.

ويُعدّ إدوارد سعيد، في كتابه "الاستشراق" من أهم المؤثرين فى هذا الاتجاه، إذ استطاع تعرية الذات الغربية وغطرستها المزعومة، موضحًا كيف استطاع الخطاب الغربي أن يرسم صورة للشرق عن طريق تعزيز صورة الغرب ففى كتابه هذا ذهب إلى أن الاستعمار الفرنسي والإنجليزى للشرق الأوسط ما كان بإمكانه أن يحدث على أرض الواقع ما لم تؤسس أوروبا شبكة معقدة من المعارف حول تلك الأراضى الأجنبية. فإنتاج مثل هذه المعارف –خاصة فى الفنون والعلوم، بداية من الشعر ومرورًا بالرسم والفلسفة ووصولًا إلى الطب– ساعد على تسويغ نزع ملكيات الشعوب المستعمَرة وحكمها تسويغًا فكريا وأخلاقيًا[٦]. ويستعمل كتاب الاستشراق مفهوم الخطاب من أجل إعادة تنظيم دراسة الاستعمار[٧]، فكتاب الاستشراق يمثّل نقطة تحول في فهم العلاقة بين الشرق والغرب، من منظور معرفي– سياسي[٨]

---

[٥] –جون ماكلويد وآخرون: نظرية ما بعد الاستعمار والرواية، دراسات ومقالات مختارة، ترجمة: د.أشرف إبراهيم محمد زيدان، مؤسسة بيان للترجمة والنشر والتوزيع، ط١، ص٣٣

[٦] – المرجع السابق، ص٣٤

[٧] – آنيا لومبا، فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغنى غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧، ص٥٥

[٨] – ينظر:إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨١، ص ١١.

وقد أسهم "هومي بابا"، و"غاياتري سبيفاك" و"فرانز فانون" في ترسيخ هذه النظرة من خلال مفاهيم مثل التهجين والهوية الهجينة، والتمثيل. فقد اهتم "بابا" بمفاهيم مثل التهجين والازدواجية والفراغ الثالث، منوهًا إلى أن العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر تقوم على التوتر والازدواج، وتنتج مساحات ثقافية هجينة، يمكن من خلالها للمستعمَر أن يُنتج مقاومة من داخل خطاب الهيمنة نفسه[٩] إن استخدام هومى لمفهوم التهجين كان الأكثر تأثيرًا والأكثر إثارة للجدل فى الدراسات ما بعد الكولونيالية.[١٠]

ولأشكروفت دور كبير فى التأسيس للمصطلح فهو من لدنه" يشمل كل الثقافات التى تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية إلى يومنا الحالى، ويرجع هذا الاستخدام إلى استمرار هذا الانشغال طوال العملية التاريخية التى بدأت بالعدوان الإمبريالى الأوربي"[١١] .

فأشكروفت يضع تصورًا عامًا للمصطلح؛ إذ يرجعه إلى اللحظات الاستعمارية الأولى حتى الآن، وهو ما يشكل آثارًا كبيرة تستجلب كثير من الوقفات المهمة للوقوف على طبيعة هذه الآثار التى خلفها الاستعمار وتفكيك سياقاتها المتعددة وإعادة بنائها من جديد وفق منظور ما بعد حداثى؛ لا سيما بعد أن أخفقت الحداثة فى تحقيق مقاصدها ورسم صور متخيلة كاذبة واهية؛ إذ يتناول مفهوم ما بعد الكولونيالية آثار الاستعمار على الثقافات والمجتمعات، كما يتضمن دراسة الغزوات الأوربية على الأرض

---

[٩] – **Homi Bhabha, The Location of Culture, Routledge, 1994, p. 112**

[١٠] – **آنيا لومبا، فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، مرجع سابق، ص٤٣**

[١١] –**بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق فى آداب المستعمرات القديمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٦**

والعمليات الخطابية للإمبراطورية وتحليلها.[١٢] وقد تطورت نظرية ما بعد الاستعمار – كما يمكن فهمها اليوم– بسرعة فى ثمانينيات القرن العشرين لسببين مترابطين، وهما: تأثير النظرية النقدية، وظهور منهج ذى طابع ثقافى[١٣]

المبحث الثانى:

يمثّل خطاب النهضة العربية في القرن التاسع عشر عنصرًا فاعلًا فى التأسيس للوعي العربي بالذات وبالعالم، في سياق من التحوّلات على السياق الفكرى والسياسي والاجتماعي . ومن بين أهم المؤسسين لهذا الخطاب يتبدى اسم رفاعة رافع الطهطاوي، الذي جسدت رحلته إلى باريس (١٨٢٦–١٨٣١) وما خلّفته من نتائج مهمة في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" لحظة تأسيسية لميلاد سؤال النهضة والتحديث في الفكر العربي الحديث.

ومع أن نظرية ما بعد الاستعمار نشأت في سياق فكري غربي، إلا أن كثيرًا من مرتكزاتها الفلسفية، تجد صدى كبير فى الفكر العربي، لا سيما في خطابات روّاد النهضة، الذين جابهوا "الآخر" الأوروبي الحداثي. ويُعَدّ رفاعة الطهطاوي أحد أوائل من خاض هذه التجربة من موقع عربي إسلامي، جمع بين الإعجاب بالمنجز الغربي، والرغبة في الحفاظ على الخصوصية الثقافية والدينية والهوية واللغة.

ولئن كانت كتابات الطهطاوي قبل تشكّل نظرية "ما بعد الاستعمار" بوصفها نظرية نقدية غربية ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا

---

[١٢] – بيل أشكروفت وجاريث جريفيث: دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسة، ترجمة أحمد الروبي وأيمن خلف، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٢٢

[١٣] – جون ماكليود وآخرون: نظرية ما بعد الاستعمار والرواية المرجع السابق، ص٣٤

أن خطاباته تعدّ – بحق – بيئة خصبة لقراءة مبكرة لجدلية كثير من الثنائيات ومنها الشرق والغرب والعلاقة بينهما، والذات والآخر، والمركز والهامش وغيرها من المرتكزات المهمة التى تأسست عليها نظرية ما بعد الاستعمار.

إذ تمثل رحلته تفاعلًا عربيًا مباشرًا مع مركزية الغرب الحديث، فخطابه يتقاطع كثيرًا مع مفاهيم، مثل: التمثيل، التهجين، المركز والهامش، الهيمنة والمعرفة؛ وهي المفاهيم التي شكّلت صلب تنظيرات مفكرين بارزين مثل إدوارد سعيد وهومي بابا وغاياتري سبيفاك؛ إذ "إن نصوص النهضة العربية، رغم أنها سبقت تنظير ما بعد الاستعمار، إلا أنها انطوت على حس نقدي مبكر تجاه أوروبا، وعلى مفارقة حادة بين الانبهار بالعلم الغربي، والرغبة في الحفاظ على الذات الثقافية. وهذا يجعلها قابلة لقراءة جديدة من منظور ما بعد الاستعمار."[١٤]

تصوير الرحلة وأثرها فى تشكيل الخطاب:

تحليل خطاب الطهطاوي عن فرنسا: الإعجاب بالتنظيم والعلم.

يأتى الخطاب الإعجابي فى كتاب الطهطاوى فى كثير من المواضع ولعل شيخه حسن العطار من أشعل جذوة عدسة الطهطاوى فى التسجيل لصورة الآخر الأوروبي إذ يقول "أشار على بعض الأقارب والمحبين، لا سيما شيخنا العطار، فإنه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار"[١٥].

فنجده منذ الوهلة الأولى من رحلته ينتابه الإعجاب بوسيلة الرحلة/ السفينة يقول" قد امتطينا سفينة حرب فرنساوية لا تغادر فى فؤاد الإنسان

---

[١٤] – عز الدين الخطابي، في النظرية ما بعد الكولونيالية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦، ص ١٢٦.

[١٥] – رفاعة الطهطاوى: تخليص الإبريز فى تلخيص باريز،مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ ص٤ وما بعدها

رعبًا ورزينة، تجذب قلب الراكب حتى يصير فى وسطها صبا...فتوسمنا فى وجهها الخير ١٦

وهى جمل وصفية تشى بإعجاب الرحالة بوسيلة رحلته، ولم يلبث هذا الإعجاب حتى وصل إلى مرسيليا إذ نجده يوظف الوصف المطول للمائدة وطريقة تناول الطعام، يقول" ثم مدوا السفرة للفطور، ثم جاءوا بطبليات عالية، ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية، وجعلوا قدام كل صحن قدحًا من القزاز وسكينًا وشوكة ومعلقة، وفى كل طبلية نحو قزازتين من الماء، وإناء فيه ملح، وآخر فيه فلفل[١٧]. وهو وصف يتخذ سردًا مطولًا لأهم تقاليد إعداد الطعام عندهم.

ونجده كذلك يمتدح عقل أهل باريس وتبحرهم فى العلوم والمعرفة وإتقان القراءة حتى إن عامة الشعب يعرفون القراءة والكتابة، يقول" اعلم أن الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل، ودقة الفهم وغوص ذهنهم فى الغويصات..يحبون دائمًا معرفة أصل الشيء والاستدلال عليه حتى إن عامتهم أيضًا يعرفون القراءة والكتابة [١٨] كذلك نجده يستحسن طباعهم فى نفيه عنهم التشبيب بالأحداث. يقول" ومن الأمور المستحسنة فى طباعهم، الشبيهة حقيقة بطباع العرب، عدم ميلهم إلى الأحداث، والتشبب فيهم أصلًا، فهذا أمر منسي الذكر عندهم"[١٩]

التمثيل Representation

وهو يشير إلى الطريقة التي يُعاد بها تشكيل صورة "الآخر" في الخطاب إذ لا يُقصد به مجرد تصوير أو وصف. ولئن كان التمثيل أداة

---

[١٦] – **المصدر نفسه، ص٢٧**

[١٧] – **نفسه،ص٥٨**

[١٨] **ينظر: نفسه، ص ٨٣**

[١٩] – **رفاعة الطهطاوى، ص٨٧**

مهيمنة للغرب من خلال إحداث إعادة التشكيل لصورة الآخر، فكيف استطاع خطاب الطهطاوى أن يوظف هذه الأداة فى رحلته.

كان الطهطاوي يكتب بوصفه عينًا عربية تنظر إلى الآخر الأوروبي من داخل عوالمه، وقد حرص على تسجيل ملاحظاته في صيغة تمثيلية، تجمع بين الوصف والانطباع والتحليل، ما يجعل نصه مادة مناسبة لتفكيك العلاقة بين الشرق والغرب معرفيًا."[٢٠]

فخطاب الطهطاوى قد أفاد من هذه الأداة إفادة كبيرة فى تمثل ذاته بوصفه المسلم الأزهرى الغيور على دينه ولغته وهويته، ويتجلى ذلك فى تمثله للذات من خلال إعادة تفكيك خطاب الآخر الاستعمارى فعند حديثه عن نقد الأخلاق، نجده يوظف الوصف عن طريق المقارنة بين الذات والآخر، ويبدو ذلك فى مناطق متعددة من كتابه، ففى مراسلاته التى وقعت بينه وبين بعض كبار المستشرقين وعلمائهم، نجده يثنى على نفسه/ الذات العربية، ويبين منزلته العلمية.[٢١] فالطهطاوى هنا يتمثل ذاته العربية بشكل تبئيرى مفككًا صورة الآخر الغربي وتهميش فكره إذ يمدح نفسه ومنزلته فى سياق علماء كبار يمثلون الآخر/ الاستعمارى.

إشكال التمثيل: الازدواجية في التمثيل .

يتحدث الطهطاوى فى حديثه عن الآخر الفرنسي من موقع الإعجاب والدهشة بيد أنه لا ينفى عنهم الغيرية، وفى حديثه عن وصفهم بالعقلانية والحب للعلم ، نجده يحتفظ بموقف الاختلاف معهم دينيًا وثقافيًا؛ من خلال وصفه للعلم مع الحرص على مرجعيته الدينية يقول فى مقدمة

---

[٢٠] – **محمد العربي، "رفاعة الطهطاوي ووعي التمثيل الحضاري"، مجلة فصول، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠٠٤، ص ١٠١.**

[٢١] – **ينظر: رفاعة الطهطاوى، المصدر السابق، ص١٥٤ وما بعدها.**

الكتاب" خير الأمور العلماء، وأنه أهم كل مهم، وأن ثمرته فى الدنيا والآخرة"[٢٢] فهو فى هذه الفقرة نجده يؤكد قيمة العلم من منظور دينى.

ولعل أهم ما يؤسس لفلسفة ما بعد الاستعمار فى هذا الكتاب، هو وصف أخلاق المجتمع الفرنسى عندما تحدث عن البخل الاجتماعى بقوله" وليس عندهم المواساة إلا بأقوالهم، لا بأموالهم... وهم فى الحقيقة أقرب للبخل من الكرم"[٢٣] ولعل فى نقده للبخل مع إشادته بالعلم، ما يعكس موقفًا مزدوجًا فيه تقدير للحداثة مع انتقادها فى الوقت ذاته وهو ما يرسخ لظاهرة النقد الهجين(Hybrid Critique). وفى ذمه للبخل ما يعكس فضحه وتعريته للمركزية الغربية المزعومة.

بل إن وقوفه عند ذم البخل بخاصة، يعكس تأصيله للذات العربية فى مقابلة الآخر الغربى؛ إذ إن المتابع لسياق صفة البخل فى الخطاب الشعرى الجاهلى يجد كم وقف الشعراء العرب للبخلاء ومدحوا صفة الكرم إلى أن عد شاعر منهم مثالًا لهذه الصفة، فما يذكر حاتم الطائي الشاعر الكبير إلا ويذكر معه الكرم، بل إن الشعراء الصعاليك أنفسهم كان منهم من يتسم بالكرم وذم البخل وما عروة بن الورد عن هذا ببعيد.

وعادات العرب كذلك شاهدة على كرمهم للبعيد قبل القريب فى إشعال النيران ليلًا؛ ليهتدى بها من ضل الطريق فتكون هذه النيران دليلًا على من يكرمون الضال والضيف، ومن اهتمام العرب بهذه السمة والوصول إلى منتهى أصولها، نجد ارتباط سياقها بنباح الكلب، فالكلب الذى ينبح يدل على أن أصحابه يتسمون بالبخل ، والكلب الجبان الذى لا ينبح يدل على أن أصحابه أهل كرم لأنه يعرف صورة ضيفه ويتعود عليهم فلا ينبح.

فهذا التقصى لسمة الكرم والتحليل الدقيق فى أشعار العرب لهذه السمة وضرب المثل بها يعكس تمثل هذه الصفة من قبل العرب فهى تدل

---

[٢٢] – **نفسه، ص١٢**

[٢٣] – **نفسه،ص٧٨ وما بعدها.**

على الأصل والعراقة. فلما كان ذلك كذلك فخطاب الطهطاوى فى ذمه لسمة البخل فى الخطاب المركزى يعكس الاحتفاظ بالهوية والتأصيل لها والتأسيس لزعزعة هذه المركزية المزعومة وفضحها وتعريتها أمام الذات العربية المتأصلة المحافظة على عادات وتقاليد تقبلها النفس الإنسانية بوصفها العام.

بل إن العصر العباسي وهو عصر الحضارة والتمدن والازدهار فى تاريخ الأدب العربي، قد جعل من هذه الصفة الاجتماعية البئيسة مواطنًا للسخرية، إذ ألف الجاحظ كتابه" البخلاء" الذى يتناول ذم البخل ومعالجة طبقة البخلاء فى مجتمعه عن طريق أسلوبه الماتع الذى يجمع بين الإقناع والإمتاع للقضاء على هذه السمة. الأمر الذى يعكس– من لدنه– أن هذه الصفة مذمومة فى العصور البدائية وعصور الحضارة والتمدن والازدهار.

وهو ما يستجلب كل محاولات التفكيك للخطاب الاستعمارى وتهميش أركانه وزعزعته وهو ما صنعه خطاب الطهطاوى عند وقوفه فى ذم أخلاق الغرب، وهذه الممارسة تمثل نوعًا من المقاومة الثقافية التى امتاز بها خطاب الطهطاوى؛ إذ" إن المقاومة لا تكون فقط بالسلاح، بل تبدأ من اللغة، من استعادة القدرة على التمثيل الذاتي، من تفكيك اللغة التي صاغ بها المستعمِر صورته عن الشعوب الأخرى."[٢٤]

والذى يدلل –بحق– على هذا التفكيك للخطاب الاستعمارى هو نسبه لأعظم الفضائل إلى العرب كالكرم والشجاعة والبعد عن كل الرذائل٢٥ ونجده يصف الدين الإسلامى هو الدين الأفضل٢٦ فخطاب الطهطاوى على هذه الشاكلة، يمثل نوعًا من الإزاحة وإعادة البناء، فمع إعجابه بباريس إلا أنه

---

[24]– **Leela Gandhi, Postcolonial Theory: A Critical Introduction, Columbia University Press, 1998, p. 4**

[٢٥] **– ينظر: رفاعة ، مصدر سابق، ص٥٤ وما بعدها**

[٢٦] **ينظر: نفسه، ص٣٧**

يعمل الإزاحة عنها فى كثير من مواضع الكتاب الأمر الذى يعكس تقلد ذات الطهطاوى ذاتًا جديدة تحاول كشف النقاب عن وجه الخطاب الاستعمارى.

أيضًا يتجلى خطابه فى زعزعة مركزية الغرب وتعريتها عند حديثه عن عادات المجتمع السيئة ومنها تناولهم للخمر يقول" السكر عندهم من العيوب والرذائل....." وهو حديث يعمل على تفكيك الخطاب الاستعمارى .

فهو الواعى بلغته المحافظ عليها ونجده يثنى على قومه يقول عنهم" وهم أفضل القبائل على الإطلاق، ولسانهم أفصح الألسن باتفاق، وفيهم بنو هاشم الذين هم ملح الأرض وزبدة المجد ودرع الشرف"[٢٧] فلاشك أن توظيف أفعل التفضيل فى سياق مدح العرب/ الذات يعكس قدرة الخطاب على تفكيك الخطاب الإمبريالى الاستعمارى/ الآخر، فهو يضع الخطوط الحمراء بين الذات والآخر. ونجده يمتدح اللسان العربي بوصفه أعظم اللغات يقول" فلا شك، أن لسان العرب هو أعظم اللغات.[٢٨]

فامتداح العرب ولغته/الذات فى سياق وصف الآخر/ الاستعمارى، يعكس باللزوم المنطقى الوضع الضئيل الذى استطاع خطاب الطهطاوى أن يضع به الغرب المتمركز فى سياقات مزعومة. فهذا الحديث يعكس بحق نوعًا من المقاومة الثقافية التى اندست وسط الوصف والإعجاب، الأمر الذى يعكس لدى الباحث وعيًا بمقدرة اللغة بوصفها العام والخطاب بمنطقه الخاص على كشف النقاب عن وجه الآخر/ المركزى ومحاولة تفتيت هذه المركزية وفضح أمرها.

---

[٢٧] – **نفسه، ص١٦**

[٢٨] – **ينظر: نفسه، ص٦٠ وما بعدها**

وتتجلى فلسفة ما بعد الاستعمار فى حديث له واصفًا اللقاء الثقافى وتبادل المعرفة يقول" اجتمعت فى باريس بفاضل يسمى البارون سلوسترى داساس..وقد انتشرت تراجمه فى باريس..لخص شرحًا للمقامات الحريرية[٢٩].

وهو حديث ضمن فصوله عن اللقاء بالعلماء الفرنسيين المتخصصين فى علوم الشرق؛ ففى حديثه هذا عن علاقته بالبارون داساس ما يعكس التواصل الثقافى وهو ما يعكس فكر" التهجين" عند "بابا" إذ يتكون خطاب مشترك بين ثقافتين.

ولعل المدقق فى عقده المقارنة بين مصر وفرنسا ما يعكس إنتاج المركزية فى حرص لتنبيه الهامش بوساطة الإصلاح؛ فمع أن هذه المقارنة توحى بالانغماس فى مركزية أوروبا ، إلا أن الأمر اللافت يعكس إنتاج وتدشين حداثة عربية خاصة فهو يشيد بما يعجبه، وينتقد ما لا يعجبه، ويعقد المقارنات بين أحوال فرنسا وأحوال مصر التى يجب إصلاحها[٣٠] وهو حديث يعكس حرصه على ضرورة التحديث فى مصر من دون التخلى عن الهوية الإسلامية.

ومن الموضوعات التى تؤسس إلى تأصيل الذات العربية فى مقابلة الآخر هو إشارته إلى طبيعة النساء ومواقف الرجال يقول" ومن خصالهم الرديئة: قلة عفاف كثير من نسائهم، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة بمثل المصاحبة والملاعبة والمسايرة"[٣١]

وتعلو وتيرة التأصيل عندما يقترب بخطابة إلى وصف ملك الإنكليز" جرجس الرابع" الذى اتهم زوجته بالفاحشة بعد أن عهد منها ذلك المرار العديدة، واشتهرت بذلك عند الخاص والعام، لكونها كانت تسافر

---

[٢٩] – **رفاعة الطهطاوى: مصدر سابق، ص١٤٥ وما بعدها**

[٣٠] – **نفسه، ص٢١٠**

[٣١] – **نفسه، ص٨٨**

ببلاد الإفرنج مع من تريد، ولها فى كل محل عشاق[٣٢] وهو خطاب يؤسس إلى نقض الخطاب الاستعمارى وهدمه .

رفاعـــــــة و فولنى الذات والآخر.

ولكى يتضح طبيعة الخطاب عند الطهطاوى، وجب وضعه فى مقارنة مع خطابات بعض المستشرقين لا سيما فولنى (volney) ؛ إذ إنه الرحالة الفرنسي الذى كان له أثر كبير فى توجيه الاحتلال الفرنسي على مصر؛ من خلال كتاباته عن الشرق وخاصة مصر، الأمر الذى يؤصل من المقارنة من خلال تباين الرؤية بين الذات الشرقية، والآخر الغربي.

فالمقارنة بين رفاعة الطهطاوي (١٨٠١–١٨٧٣) والمستشرق الفرنسي كونستانتان دو فولني (١٧٥٧–١٨٢٠) تمثل مدخلاً مهمًّا، يمكن الولوج من خلاله لتحليل آليات تمثيل الذات والآخر في سياق استعماري وما بعد استعماري.

فرفاعة مسلم عربي مصري، أزهري التكوين، بيد أن فولنى علماني من عصر التنوير، وكان الغرض من الرحلة عند الاثنين؛ فبعثة الطهطاوى تعليمية إلى فرنسا بوصفه مرافقًا لطلاب البعثة الاستكشافية، أما رحلة فولنى فكانت استكشافًا فلسفيًا واستشراقيًا.

وعن الموقع الخطابي فرفاعة يمثل "الشرق" وهو يكتب عن "الغرب" وفولنى يمثل "الغرب" وهو يكتب عن "الشرق". وخطاب الطهطاوى يمتاز بالإعجاب بالتقدم، مع الحفاظ على اللغة والهوية والدين و التمايز الثقافي والديني فنظرته مزيجٌ بين الإعجاب والنقد .

بيد أن خطاب فولنى يميل إلى تصوير الشرق بوصفه أرضًا للجمود وتقديم الشرق بوصفه مكانًا للتخلف والانحطاط والاستبداد، بنظرة سلبية

---

٣٢ – **نفسه، ٣٠٠**

تتسم بالتفوق الأوروبي والاستعلاء. يقول فولنى" ففى القاهرة نفسها يروع الغريب منظر الخراب والشقاء الشاملين، فثمة جماعات تزدحم فى الأزقة باطمار بالية تنبو عنها النواظر، وأجسام عارية تشمئزها النفوس، وكثيرًا ما تلتقى خيالة يرتدون الثياب الثمينة. بيد أن هذا البذخ يجعلك أكثر تألمًا لمنظر البؤس والشقاء، فكل ما ترى وتسمع ينبئك أنك فى بلد العبودية والطغيان، فلا تسمع إلا أحاديث الاضطرابات الأهلية، والفقر الشامل، وابتزاز المال، والضرب والقتل"[٣٣]

ففولنى يتمثل الشرق بوصفه (تابعًا)Subaltern " إذ تستخدم سبيفاك هذا المصطلح للإشارة إلى جميع المستويات المتدنية من المجتمع الاستعمارى وما بعد الاستعمارى العاطلين عن العمل، والمشردين والمزارعين الذين يعيشون من مورد رزقهم وما إلى ذلك"[٣٤] وهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى الفئات المهمشة التي لا تمتلك صوتًا في الخطاب السائد، مثل الفلاحين، والنساء، والعبيد. وقد اهتمت سبيفاك بتبيان كيف يُقصى التابع من إنتاج المعنى في النصوص والأنظمة المعرفية. إذ "المُستعمر ليس فقط من يُسلب أرضه، بل من يُسلب صوته. التابع لا يُسمع لأن الأنظمة المعرفية واللغوية تصمتّه، وتجعله موضوعًا للحديث لا ذاتًا ناطقة."[٣٥]

وفولنى بهذا الخطاب يؤسس لتمثيل الآخر بخطاب استعمارى يتغيا تشويه صورة الآخر الذى هو فى حاجة لتدخل الغرب الذى يكون دائمًا فى

---

[٣٣] – فولنى، ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ط١، بيروت، ١٩٤٩، ص١٢٤

[٣٤] –ن. شمناد: غايترى سبيفاك منظرة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٦٥، العدد١، ٢٠١٤، ص٤٠

[35]– Gayatri Chakravorty Spivak, "Can the Subaltern Speak?", In Colonial Discourse and Post-Colonial Theory, ed. By Patrick Williams and Laura Chrisman, Routledge, 1994, p. 104

هذا الخطاب المركزى هو العقلانى، المتزن، المخلص لهذا البدائي/ الشعوذى/ المتخلف.

تلك هى طبيعة الخطاب الاستعمارى المركزى الذى يجسد الميثولوجيا البيضاء التى هى تصور الغرب بالعلم والمعرفة والإبداع والإنتاج ومن ثم التأسيس لمركزية الخطاب الغربي الاستعمارى تقول ليندا" إن جريمة المشروع الحداثى الكبرى فى حق الشعوب الأصلية أو أسطورته اللاعقلانية خرافته الآثمة، وهى ببساطة إقصاء الآخر ورفض التعددية الثقافية، الأنا الغربية المركزية فقط"[٣٦]

وهذا منطق يخالف منطق الطهطاوي؛ إذ استطاع خطاب الطهطاوى تمثيل الذات المسلمة بوصفها قادرة على التمدّن والحضارة وتقبل الآخر مع الحفاظ على الدين والهوية يقول" يجب على من أراد الخوض فى لغة الفرنساوية، أن يتمكن من الكتاب والسنة، حتى لا يغتر بذلك ولا يفتر عن اعتقاده، وإلا ضاع يقينه"[٣٧]

فالطهطاوى يمارس تمثيلاً للذات من الداخل، عبر محاولة التوفيق بين الإسلام والتقدم، في نهج إصلاحي. فالمدقق فى كتاب الطهطاوى يدرك مدى حرصه على هذا التمسك يقول" نعم اللغة العربية أفصح اللغات وأعظمها وأوسعها وأحلاها على السمع"[٣٨]

وكل هذا على العكس مما قدمه خطاب فولنى إذ مثل الشرق بوصفه "آخر" متخلف، غريب، مثير للدهشة أو الشفقة وهو ما يؤسس

---

[٣٦] – ليندا لانغ، عن الحداثة، ضمن كتاب نقد مركزية المركز، الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعمارى ونسوى،ج٢، ت: يمنى الخولى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة للفنون، الكويت ٢٠١٣، ص١٢٠

[٣٧] – نفسه، ص١٣١

[٣٨] – ينظر: رفاعة الطهطاوى، المقدمة، ص٨

لخطاب استشراقي، يصوّر الشرق بوصفه غير قادر على التحديث إلا من خلال الغرب.

وعليه تتجلّى المفارقة الجوهرية بين رفاعة الطهطاوي، في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وبين الرحّالة فولني، في زاوية التمثيل الحضاري لكل طرف للآخر. فالطهطاوي، بوصفه ذاتًا شرقية، لا ينظر إلى الغرب نظرة استسلامية أو إعجاب كلي، بل يقدّم قراءة مزدوجة تجمع بين الإعجاب بالمؤسسات التعليمية والتنظيم السياسي، والنقد الأخلاقي والديني لبعض مظاهر الحياة الغربية،[٣٩] في محاولة لإعادة صياغة الذات الإسلامية الإسلامية ضمن أفق التحديث، لا التغريب. بينما يميل الرحالة فولنى إلى بناء صورة نمطية عن الشرق بوصفه كيانًا ساكنًا، تغلفه البدائية، وتسوده الأنظمة الاستبدادية، وهي صورة تعكس التصوّرات الاستشراقية التي كانت تمهّد للهيمنة الاستعمارية واتخاذ التمثيل بوصفه وسيلة للهيمنة على الخطاب الشرقى.

ومن ثم فخطاب الطهطاوى انفتاحي إصلاحي، يسعى للأخذ من الغرب مع الحفاظ على هويته، والذى يدلل على هذا هو تفضيله ةتأسيسه للذات العربية ويتجلى ذلك فى تفضيله لمصر وتقدمها على فرنسا من خلال موقعها المتميز وأرضها وماء نيلها العذب. [٤٠] كل هذا يدلل على طبيعة تمثل خطاب الطهطاوى لذاته.

فرفاعة الطهطاوي حاول تحقيق توازن حضاري بين الشرق والغرب، وسعى لتحديث مصر دون القطع مع تراثها الإسلامي. بيد أن فولني مثّل أنموذجًا

---

[٣٩] – ينظر الجزء الخاص بالحديث عن تأثر الطهطاوى بفلسفة ما بعد الاستعمار من الدراسة الحالية.

[٤٠] – ينظر : نفسه ، ص٤٧

استشراقيًا يرى في الشرق رمزًا للجمود والانحطاط، وفي الغرب منقذًا بعقلانيته وفكره التنويري.

إذن فرفاعة يتحدث من موقع المُستعمَر الذي يسعى إلى الفهم والتحديث، بينما يتحدث فولني من موقع الهيمنة الإمبريالية التي تسعى إلى الاستعلاء والسيطرة. فخطاب فولني يحمل نزعة "مركزية أوروبية" Eurocentrism صريحة، بينما يُعد خطاب الطهطاوي محاولة لتشكيل "وعي هجين" يعيد بناء الذات دون إنكار الآخر.

وخطابه يمثل نوعًا من المقاومة التى تمتد إلى الخطاب، والثقافة، والتعليم، واللغة، إذ يستطيع المستعمَر أن يُعيد تشكيل تمثيله لنفسه، ويُنتج معرفة بديلة تعارض المعرفة الاستعمارية. فلئن " كان الاستشراق في جوهره أسلوبًا غربيًا للهيمنة على الشرق وإعادة تشكيله وامتلاك السلطة عليه، من خلال نظام من التصنيفات والتمثيلات التي توظف الأدب والفن والسياسة معًا." المقاومة على هذا تمثل عنصرًا فاعلًا فى مجابهة هذا العدوان الثقافى.

وفى الوقت ذاته جسد خطاب الطهطاوي نوعًا من التفاعل الثقافي بين المستعمِر والمستعمَر، إذ تتشكل هوية جديدة هجينة **Hybridity** ، لا تنتمي لأيّ من الطرفين. وهو مفهوم يعكس التوترات والانزياحات في الهوية، كما يظهر في نصوص النهضة العربية.

وأخيرًا من خلال هذه المقارنة، تبدو طبيعة الخطاب الاستعماري الذى يتكئ على ثنائية المركز والهامش من خلال وضع الغرب في مركز الحضارة والعقلانية والتقدم، في مقابل شعوب "الهامش" التى تُمثل من قبل المركز بالتخلف واللاعقلانية والشعوذية والبدائية؛ إذ تتغيا نظرية ما بعد الاستعمار تفكيكَ هذه الثنائية واستعادة موقع الهامش بوصفه فاعلًا لا بوصفه مفعولًا به." فثنائية المركز والهامش التي صاغها الخطاب الكولونيالي ليست بنية طبيعية، بل هي آلية أيديولوجية تهدف إلى إدامة

السيطرة، عبر تصنيف الشعوب إلى عقلانيين وهم الغربيون، ولاعقلانيين وهم الآخرون."[٤١]

[٤١] – روبرت يونغ، نظرية ما بعد الاستعمار: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة ثائر ديب، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠١٨، ص٤٧.

الخاتمة:

انتهتْ الدراسة إلى أن نظرية ما بعد الاستعمار نظرية نقدية حداثية تتناول كثيرًا من المرتكزات التى يمكن من خلالها محاولة فهم نصوص النهضة العربية المبكرة في نقد الهيمنة الثقافية. وإمكانات تطوير الخطاب النقدي العربي المعاصر.

أيضًا خلصت هذه النظرية إلى أن خطاب الطهطاوي لم يكن خطابًا انبهاريًا كما ذهب بعض الدارسين[٤٢]، وإنما كان خطابًا متزنًا مثل نوعًا من المقاومة الثقافية ضد الآخر الاستعماري وإن كان الإعجاب بالآخر يوجد فى بعض المناطق من الكتاب، بيد أن هذا الإعجاب قد يرجع إلى أن الطهطاوي كان طالبًا ابتعث إلى فرنسا، وطالب العلم الذى يريد المعرفة قد ينتابه نوع من الإعجاب لمعرفة المزيد من العلوم والفنون والآداب .

وعليه هذا البحث يمثل مدخلًا ضروريًا لفهم الكيفية التي يمكن من خلالها قراءة الخطاب النهضوي العربي، ممثلاً في نص الطهطاوي، عبر أدوات ما بعد الاستعمار. وكل هذا يجعل من تخليص الإبريز نصًا غنيًا بالأسئلة ما بعد الكولونيالية، وقادرًا على محاورة مفاهيم مثل: التمثيل، المركز والهامش، المعرفة والسلطة، والهوية الهجينة.

فكتاب تخليص الإبريز يمثل نقطة فارقة في تاريخ الفكر العربي؛ لأنه لا يوثق –فقط– تجربة الطهطاوي في فرنسا، بل يقدّم أول محاولة عربية حديثة لتمثيل الذات في علاقتها بالآخر الأوروبي.

---

[٤٢] – ذهب بعض الدارسيين إلى هذا ومنهم: إبراهيم بن محمد الشتوى" عبر الثقافة والهوية" مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ٢٢، ٢٠١٥، ص١٥، ودراسة مصطفى همت" تخليص الإبريز. انبهار الطهطاوى بالحضارة الأوربية" دار الهلال، ٢٠٢٥

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا المصادر:

- رفاعة الطهطاوى: تخليص الإبريز فى تلخيص باريز، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ .

ثانيًا المراجع العربية والمترجمة:

- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨١.
- آنيا لومبا، فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغنى غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧.
- آنيا لومبا، فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، مرجع سابق.
- بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق فى آداب المستعمرات القديمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦.
- بيل أشكروفت وجاريث جريفيث: دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسة، ترجمة أحمد الروبي وأيمن خلف، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.
- جون ماكليود وآخرون: نظرية ما بعد الاستعمار والرواية، دراسات ومقالات مختارة، ترجمة: د.أشرف إبراهيم محمد زيدان، مؤسسة بيان للترجمة والنشر والتوزيع، ط١.
- روبرت يونغ، نظرية ما بعد الاستعمار: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة ثائر ديب، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠١٨.
- سعد البازعى: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافى العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م.
- عز الدين الخطابي، في النظرية ما بعد الكولونيالية، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦.
- فولنى، ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ط١، بيروت، ١٩٤٩.

- ليندا لانغ، عن الحداثة، ضمن كتاب نقد مركزية المركز، الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعمارى ونسوى،ج٢، ت: يمنى الخولى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة للفنون، الكويت ٢٠١٣،
- محمد العربي، "رفاعة الطهطاوي ووعي التمثيل الحضاري"، مجلة فصول، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠٠٤.
- ن. شمناد: غايترى سبيفاك منظرة هندية لخطاب ما بعد الاستعمار، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٦٥، العدد١، ٢٠١٤.

ثالثًا المراجع الأجنبية:

Gayatri Chakravorty Spivak, “Can the Subaltern Speak?”, In Colonial Discourse and Post-Colonial Theory, ed. By Patrick Williams and Laura Chrisman, Routledge, 1994
Leela Gandhi, Postcolonial Theory: A Critical Introduction, Columbia University Press,1998
Homi Bhabha, The Location of Culture, Routledge, 1994